حديقة المقتطف

الحركة الادبية

في سوريا ولبنان

لالياس ابي شبكة

الادب الفارسي

وخدمة الوثنين له في الهند

للسيد ابو النصر احمد الحسيني

الحركة الأدبية

في سورية ولبنان

قال احد الكتّاب وأظنه لوسيان ديكاف ان الكتب ، والقصص منها بوجه خاص ، « تتقدم في السن » كمؤلفيها . فمنها ما يموت في شبابه لا يتجاوز الحداثة الا قليلاً ، ومنها — وهو قليل — ما يبلغ الكهولة ، على ان صحته لا تلبث ان تسوء فتشيع القلق على حياته

وهذا صحيح ، وأكثر ما ينطبق على أدب هذا العصر سواء في الشرق أو الغرب . فمعظم ما ينتجهُ الأدب في هذا العصر مموّه بزخارف لا توائم طبيعة الأدب وليس الجمال في التزيّد والاسراف بالزخرف بل هو في بساطة الأداء والصدق : شعراً كان أم كان نثراً ، والبساطة هي أمّ الجمال وهي أظهر مزايا النبوغ ، فعظماء النتّاجين في العالم على تباين نزعاتهم لم يكتفوا يوماً ببساطة ما أنتجوه فهم يريدون دائماً أن يكون عملهم أكثر بساطة مما هو ، ليتفق وعاطفة الحقيقة والشعور الطبيعي

وليست البساطة نقيض الذكاء بل هي نقيض التكلف ، والتكلف رهين الزوال السريع لأنهُ لا يصدر عن الطبيعة ، وكل ما يصدر عن الطبيعة بسيط لأن الطبيعة لا تتكلف ما ليس في طاقتها . وما دامت الطبيعة امّ الحياة فكل ما لا يصدر عن الطبيعة يموت

ومن مزايا الطبيعة أنها لا تقلد ، فهي صورة عن نفسها . فالشعر الجاهلي ما عاش الى يومنا هذا الاّ لأنهُ صادق يعبّر عن روح العصر الجاهلي ببساطة ذلك العصر ، وليست قيمة هذا الشعر إلاّ في بساطته الرائعة ، في صدقه الصارخ . وما نقوله عن الشعر الجاهلي نقولهُ عن الشعر في صدر الاسلام وفي الاعصر العباسية الزاهرة . فعمر بن ابي ربيعه لم يخلد في شعره إلاّ لأنّ شعره صورة عن نفسه ولأنّهُ هو صورة جريئة لعصره

ولا بدّ لي بهذه المناسبة أن أعرض لرأي أبداه الاستاذ احمد امين في جريدة الجمهور البيروتية . فقد قال حضرته مفسّراً ظاهرة ضعف الشعر في العالم « ان العالم الآن طغت عليه المادية وكل ما يتعلق بها من علم وسياسة ونحو ذلك ، والمادية

عدو الخيال ولا شعر الاَّ بخيال ، ويتصل بذلك ان الشعر يكثر ويغزر قبل ان يكتمل عقل الأمة كما كان الشأن عند العرب في الجاهلية وعند اليونان فاذا تقدمت الأمة في الرقي حلَّ المحل الاول عندها الفلسفة والادب النثري ، فالامة الآن لما تقدم لم يعد للشعر منزلته الأولى وحلَّ محله شيئاً فشيئاً نثر العقل وفلسفة العقل»

ثم : فلقد كان يجمل بالكاتب قبل ان يرسل هذا الرأي أن يعرض عصور التاريخ فلو انهُ فعل ذلك لوجد ان ازهرها كانت الاعصر التي ازدهر فيها الشعر على الخصوص . ففي عصر اغسطس الذي كان امجد عصور التاريخ الروماني وضع الشعر تلك الروائع التي تنم على عبقرية اللاتين وقد اقترنت باسماء هوراس وفرجيل واوفيد وغيرهم ، وما نقوله عن عصر اغسطس نقوله عن الاعصر العباسية وعصر لويس الرابع عشر في فرنسا وعصر فيكتوريا في انكلترا ، ولا يسمح لنا المقام هنا بالاسهاب في هذا الموضوع الذي لا يقبل جدلاً ، وكل ما نقوله ان العصور التي سادها اغسطس وهرون العباسي ولويس الرابع عشر وفيكتوريا لم يكن عقل الامم فيها أقلَّ اكتهالاً منهُ في عصر موسوليني وهتلر . وربما كان السبب الاصح في ضعف الشعر في العالم هذا القلق المستحوذ عليه ، فالشعر لا يزدهر الاَّ في عصور الطمأنينة والرخاء ، والطمأنينة والرخاء لم يعرفهما العالم منذ خمس وعشرين سنة إلاَّ في الفترة القصيرة التي عقبت الحرب الكبرى . هذا الى ان الشطر الاكبر من الجهد الانساني ينصرف في الازمنة القلقة الى حل مشاكل هذه الازمنة . وهذه المشاكل لا يحلها الشعر بل السياسة . لذلك تحول جهد الكتَّاب في هذا الزمن الى معالجة شؤون العصر توصلاً الى الرخاء والطمأنينة المنشودين اللذين يساعدان الامم على تنمية عقلها . . . فكان أن طغت الأبحاث المادية العقلية على الشعر الذي يتصل مباشرةً بالروح . وأكبر الظن ان الأحداث السياسية التي خبطت مصر وسوريا في الحقبة الاخيرة حولت الاتجاه الادبي فيهما عن الشعر الى الشؤون العقلية البحتة فضعفت الناحية الشعرية في هذين البلدين اكثر مما ضعفت في لبنان الذي لم يعترضه حدث سياسي خطير عما نطر عليه ولا مشاحة في ان الشعر ينشأ مع الامة ويسايرها في رقيها ، وهو مرآة الامة وعنوان ازدهارها ، على انهُ قد يهادن في المعضلات الاجتماعية الخطيرة ليفسح السبيل الى الانصراف لحل هذه المعضلات

قلت في المقال السابق الذي جعلته توطئة للفصول التالية في الحركة الادبية بسوريا ولبنان ان هذين البلدين لا يملكان من الصحف الادبية الا عدداً قليلاً وأقول اليوم ان هذه الحركة لا تظهر في هذه الصحف وحدها بل في الصحف السياسية ايضاً، فقد لا تخلو صحيفة يومية من صفحة ادبية في كل أسبوع: وهذه الصفحة تحظى بجانب كبير من العناية، وقد لا اخطئ اذا قلت انها ارقى صفحة ادبية في الشرق العربي. واحصر كلامي هذا في الصحف اليومية. أما الجمعيات الأدبية فما تزال محاولات لا تعيش عمراً أطول من عمر وردة « دوبريه » Dupérier أي مدى صباح واحد. وأول جمعية نذكر رجال الأدب في تأليفها هي « الجامعة الأدبية » التي عاشت سنة ونصف سنة ولم تمنح إلا مرة واحدة عندما منحت جائزتها وقدرها مائتا ليرة للشاعر سعيد عقل مكافأة له على إصداره مسرحيته الشعرية الرائعة « بنت يفتاح » في العام ١٩٣٣ ولدت هذه الجمعية في دار الشاعر شارل القرم وبقيت سنة ونصف سنة تعقد اجتماعات أسبوعية تمهيدية تارة في دار الاستاذ شارل القرم وطوراً في دار رئيستها السيدة الأديبة افلين بسترس حتى انحلت من تلقائها

وفي تلك الاثناء أنشأ بضعة من الادباء والناشئين جمعية باسم « ندوة الاثنى عشر » لا تزال الى يومنا هذا ماضية في النشاط، وقد أصدر أعضاؤها عدة مؤلفات آخرها « يوميات ميشال سرور » للاستاذ ميشال الاسمر. ويقول الاستاذ فؤاد حداد، أحد أعضاء هذه الندوة، إن « يوميات ميشال سرور قصة مستحدثة الاسلوب في العربية، لكل ما يستوحى من الآداب الاجنبية — هي مجموعة ذكريات وعواطف وأفكار وتصورات، تسلك أجزاءه خطوط تتمثل فيها شخصية فتى نزوع للادب وطموح لأن ينال من الحياة. يصطدم في قريته وبيته بمن لا يفهمه فيهجر محيطه الى حيث يضيع بين مجموع يدعه يعيش على هواه، فينصرف الى تذوق أحاسيس الدنيا، محصورة بعاطفة الحب حتى يعرف أخيراً اللذة الكبرى: بعد كبت طويل: والحب الاسمى، بقرب فتاة التي فيها مجموعاً ما كان يتمثله من كمال في المرأة. ولكن الفتاة مصدورة تموت ويموت معها جنين في احشائها، بعد ان رجعت من الحبيب الذي أدركت مطامحه الادبية أن يستمد من حياتها القصيرة المشتركة مادة لقصة يخلدانها بها ولم يسعدا بالخلود في الكائن الحي عصارة

روحيها ومزيج قلبيها . » . وفي الشهر الفائت أسس رهط من الادباء « نادي القلم » وعقد حتى الآن عدة اجتماعات تمهيدية برئاسة الشاعر الدكتور نقولا فياض

أما دمشق فليس فيها جمعيات أدبية سوى المجمع العلمي ، وجلسات الادب تعقد فيها تارة بمقهى الباسيفوطوراً بمقهى الكمال ، ولكن هذه الجلسات سرعان ما يتحول البحث فيها الى السياسة ، والسياسة شاغلة الشام اليوم . ولم يكن في دمشق حتى الشهر الاسبق جريدة تعنى عناية خاصة بشؤون الادب الى أن نشط الاستاذان يوسف العيسى ، صاحب جريدة « ألف باء » ، وايليا شاغوري الى اصدار جريدة اسبوعية باسم « الاحد » أخذت على عاتقها سد هذا الفراغ في العاصمة السورية .

على ان الانتاج الادبي في المطابع عامة ضئيل في سوريا فالجهود مبذولة فيها لتسوية المعضلات السياسية . وقد لا أخطىء اذا قلت ان المطابع السورية لم تصدر في الاشهر الاخيرة كتاباً حرياً بالاهتمام ، خلافاً للامر في لبنان ، فقد أصدرت مطابع بيروت في شهر ديسمبر خمسة كتب هي : « ديوان ابن النساطي » للاستاذ أنيس المقدسي ، و « هل يجوز القمر » أو قصة عمر بن أبي ربيعة للاستاذ رئيف خوري و « نحن في افريقية » ، للاستاذ كامل مروة ، و « قوة الارادة » للامير يوسف أبي اللمع ، و « يوميات ميشال سرور » للاستاذ ميشال الاسمر . وقد شرع الاستاذ توفيق يوسف عواد يطبع قصته الطويلة « الرغيف » وستظهر في مطلع الشهر المقبل

قال الاستاذ رئيف خوري في المقدمة القصيرة التي وضعها لكتابه عن عمر بن أبي ربيعة : ينبغي للادب ان يعلمنا شيئين : الفرح بالحياة وبناء عالم مفرح . وهذا السفر لا يعلمنا بناء العالم المفرح ، وإنما هو يعيننا على استمراء شيء من الفرح . وأقصى أملي أن يكون نزهة مريحة الاعصاب ، ومجددة القابلية للكفاح في سبيل بناء العالم المفرح » . وقد استهل المؤلف قصته — ولنسم كتابه قصة ، فهو من نوع التاريخ المنوّه أو ما يسميه الفرنجة (histoire romancée) بنبذة تاريخية عن العصر الذي ربي فيه عمر وشبّ وترعرع لجاءنا بصورة بارزة عن انفاس هذا العصر في حياة النعيم والناسه العيش المترفه خلص منها الى ايراد الاسباب التي وطدت أركان الحضارة الارستوقراطية وانفسحت السبيل الى ايثار بعض على بعض وافتتاح ذلك « الخليج المظلم » بين طبقات العرب ، هذا الخليج الذي كان يسير الشأن في

عهد الخليفة عمر بن الخطاب الحريص على «روح المساواة الفطرية التي سنّها بذورها الاسلام الخالص» واتسع في عهد عثمان بن عفان ، الخليفة «الرخو النمث الاخلاق» وبقي كذلك في زمن معاوية

والاستاذ رئيف خوري معروف بنزعته الديمقراطية الخالصة فهو لايطرق موضوعاً إلا تكون المبادىء الديمقراطية الانسانية سداه ولحمته

ومن الأدلة على نشاط الحركة الادبية في لبنان مساهمة الدوائر الرسمية والمؤسسات العلمية فيها ، فقد ارصدت وزارة المعارف في ميزانيتها خمسماية ليرة لتنشيط الادب توزعها كل سنة على المؤلفين ، ووضع المجلس البلدي في بيروت جائزة قدرها مائتا ليرة للغاية نفسها . وفي السنة الفائتة قررت مدرسة الحكمة في العاصمة اللبنانية منح جائزة سنوية قدرها مائتا ليرة لافضل كتاب نثري او شعري يصدر خلال السنة . كما أن جريدة «المكشوف» توزع كل سنة عدة جوائز مالية لتنشيط القصة والشعر ، وقد أعطت هذه البادرة ثمرتها الطيبة . اما محطة الاذاعة فلا تزال ميزانيتها ضيقة ، ولكنها لاتتورع عن تأدية قسطها للحركة الفكرية في سوريا ولبنان ، ففي كل اسبوع تدعو خطيباً لاذاعة محاضرة أو قصة ، وقد خصصت للمحاضرة خمس عشرة ليرة وللقصة عشر ليرات

وللحركة الأدبية ميدانها الجدي في المعاهد العلمية الكبرى كالجامعة الاميركية ومعهد الحكمة ومدرسة المقاصد الخيرية ومدرسة القديس يوسف اليسوعية وغيرها فلا ينبغ أديب إلاّ تعرّف اليه منابر هذه المعاهد ، ولا يزور أديب لبنان الاّ لسمع صوته من أحد هذه المنابر . وفي كل سنة تنظم الجامعة الاميركية سلسلة محاضرات في الادب والاجتماع تعهد بها الى صفوة رجال الفكر في البلاد

اما الحركة الشعرية فقد خفتت في الشهرين الفائتين فلم تنشر الصحف ولو قصيدة غزلية . وهذا «حدث» لا عهد للبنان بمثله ... ومما يدعو الى الدهشة ان جريدة «الجمهور» الاسبوعية أرادت أصدار جزء شعري من الدقة الى الدقة فجمعت طائفة من القصائد لثلاثين شاعراً لم تقع فيها على قصيدة جديدة . ولكنها ثمة عارضة باذن الله ... ومهما يكن فقد جاء جزء «الجمهور» ديواناً او معرضاً للالوان الشعرية في لبنان وفي سوريا ايضاً بيروت ١٠ فبراير الياس ابو شبكة